الوسطية في الخطاب الديني ومحاربة الإرهاب الفكري: الخطاب المسجدي أنموذجا

« دراسة نظرية ميدانية بكلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1 »

بقلم

د. بشير قادره

كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة 1

bachirgadra@gmail.com

مقدمة

انطلاقا من إشكال ما تعيشه أمتنا الإسلامية اليوم، بمختلف مجتمعاتها، من تناحرات متعددة، منها تناحر الإرهاب الفكري بأنواعه، ولاسيما الإرهاب الفكري المسوّق باسم الدين، لدى بعض الجماعات المحسوبة على الإسلام، والتي انبثق من إرهابها الفكري من يحمل السلاح في وجه المسلمين، محدثا بذلك فتنة كبيرة في مجتمعاتنا الإسلامية، كما هو واقع ما يرمز له بـ "داعش" اليوم.

ومن يبحث عن أسباب هذا الإرهاب الفكري يجدها كثيرة، منها:

ـ افتقار هؤلاء الأشخاص لأدوات البحث عن الحقيقة بأنفسهم بدلا من التبعية لغيرهم، لمستواهم العلمي الضعيف لتسربهم المدرسي في المراحل الأولى من الدراسة.

ـ غياب برامج تعليم الدين في شموليته، في جُلّ برامج المؤسسات التربوية والتعليمية الرسمية، حتى أنّ من ينجح ويزاول دراسته فإن المؤسسات التعليمية والتربوية الرسمية لا تزوده إلا بقشور القشور عن الدين وحقيقته.

ـ قد لا يوجد أصلا لهذه المؤسسات برامج وفلسفة لإعداد الإنسان المتوازن الوسطي المعتدل في تفكيره، المالك لأدوات التفكير الصحيح، والتحليل العلمي المنهجي، للوصول إلى الحقيقة بنفسه، مما يجعله تابعا لغيره، حتى وإن نال شهادة جامعية عليا، والصواب عنده ما قال فلان؟

ـ يتلقى هؤلاء فهمهم للدين خارج الأطر المنظمة للمجتمع، وما يترتب عن ذلك من انحرافات وتشوهات.

ـ ينجم بسبب ذلك تعصب للأفكار، والأشخاص، والمذاهب، والجماعات، بدلا من البحث عن الحق المجرد والتقيد به، بغضّ النظر عمن جاء به.

ـ يساعد الظلم الاجتماعي السائد في المجتمع، الناجم عن استيلاء أقلية بغير وجه حق على معظم موارد المجتمع، وحرمان الأكثرية من أبسط حقوقها، في ظهور ذلك التعصب المذكور وانتشاره، والتشوه في الشخصية والانحراف، مما يولد ردود أفعال متشنجة تصل إلى الإرهاب الفكري باسم الإسلام وقد يتجاوزه إلى حمل السلاح.

ـ أدى تقييد الحريات الفردية والجماعية، لا سيما للصادقين من أبناء الأمة، المدافعين عن حقوقها، إلى حرمان الأمة من الفهم الصحيح للدين وممارسته، والوعي بقضاياها المصيرية في إطار الهدؤ والعمل البناء، كون ذلك الفهم والوعي يعري الفاسدين والظالمين المستأثرين بثروات المجتمع.

ـ يتم استغلال ذلك الظلم الاجتماعي، والجهل والفراغ العلمي الحاصل في الأمة، للإكراهات المشار إليها، من طرف فئات أخرى بأسماء متعددة، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، تستثمر في الواقع الاجتماعي البئيس لكسب الأتباع، لخدمة مصالحها الخاصة، مما زاد الأمة فرقة وتشتتا، وتجذرا للإرهاب الفكري. حتى وصل الأمر إلى "إذا لم تكن معي قلبا وقالبا فأنت ضدي" ومن ثم التنكر للآخر وعدم الاعتراف به، حتى ولو كانا يشتركان في نفس الديانة والمعتقد، بسبب الاختلاف حول بعض المسائل والأفكار، مما أثّر سلبا على النسيج الاجتماعي والسلم الأهلي.

ـ انطلاقا من مظاهر الإشكال المذكور، يأتي السؤال التالي: ما هو دور الخطاب المسجدي الوسطي المعتدل في التعريف الصحيح بالدين والتنشئة الاجتماعية عليه، وغرس الفكر الوسطي في الأمة، ومن ثم محاربة ومنع انتشار ظاهرة الإرهاب الفكري المسوق باسم الدين الإسلامي؟

ـ لا سيما أن المسجد إحدى المؤسسات الأساسية والمهمة في التنشئة الاجتماعية الدينية، ويمكنها المساهمة بقوة في تصحيح الأفكار الشاذة الرائجة في وسط المسلمين باسم الإسلام، وبناء الإنسان الوسطي المعتدل في المجتمع المسلم ـ متى فُهم الدين الإسلامي بطريقة صحيحة لدى القائمين على المسجد، وأجادوا في عرضه وتقديمه للناس، مع النية الصادقة في التبليغ، وليس استغلاله لأغراض أخرى.

ومن ثم يمكن للخطاب المسجدي أن يحارب ظاهرة الإرهاب الفكري، نظرا لخصائصه ومرتكزاته عموما، وكثرة رواد المسجد في مجتمعاتنا الإسلامية لاسيما يوم الجمعة.

ـ وعليه تسعى هذه المداخلة إلى الإسهام في تحقيق أهداف الملتقى عموما، ولاسيما في عنصر أثر الوسطية في محاربة الإرهاب الفكري. من خلال توظيف الوسطية في الخطاب المسجدي.

وهي مقاربة نظرية في مواصفات وسطية الخطاب المسجدي، كما ينبغي أن يكون، وميدانية من خلال ورؤية أساتذة التعليم العالي في تعاريف: الخطاب الديني، والخطاب المسجدي، ووسطية الإسلام، والإرهاب الفكري، ومواصفات الخطاب المسجدي الذي يمكن أن يسهم في محاربة الإرهاب الفكري. إذ جُمعت وحُللت فيها إجابات الأساتذة عينة الدراسة على أسئلة الاستمارة المقدمة لهم، وعينة الدراسة قصدية لصلتها بممارسة الخطاب المسجدي، عددها عشرة أساتذة من كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، من مصاف أساتذة التعليم العالي، والأساتذة المحاضرين "أ" كلهم مارسوا الخطاب المسجدي إما متطوعين أو موظفين أئمة، قبل انتقالهم أساتذة بالجامعة، وبعضهم مازال يجمع بين التدريس بالكلية، والخطاب المسجدي متطوعا إلى اليوم.[1]

إذن هي مقاربة نظرية وميدانية، تعتمد الوصف والتحليل، وفق المخطط الموالي:

[1] ـ دليل الاستمارة مرفق بالدراسة.

أولا ـ مدخل مفاهيمي (الوسطية، الخطاب الديني، الخطاب المسجدي، الإرهاب الفكري)

ثانيا ـ الخطاب الوسطي المسجدي: مرتكزات وخصائص (مقاربة نظرية)

ثالثا ـ رؤية عينة الدراسة للخطاب الديني، والمسجدي، ووسطية الإسلام، والإرهاب الفكري، ومواصفات الخطاب المسجدي المحارب للإرهاب الفكري ذي الصلة بالإسلام.(دراسة ميدانية)

رابعا ـ الخاتمة (الخلاصة، النتائج، التوصيات) وبالله التوفيق.

أولا/ مدخل مفاهيمي

1 ـ مفهوم الوسطية:

أ/ الوسطية في اللغة: قال ابنُ فارس: "الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العدل والنّصف، وأعدلُ الشيءِ أوسطُه ووسَطُه، ويقولون: ضربت وسَط رأسه بفتح السِّين، ووسْط القوم بسكونها، وهو أوسطُهم حسبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً"[2] ووسط الشيء: ما بين طرفيه، قال الشاعر:-

إذا رحلتُ فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيق العُنَّدا

أي: اجعلوني وسطًا لكم، ترفقون بي وتحفظونني؛ فإني أخاف إذا كنتُ وحدي أن تفرُطَ دابتي، أو ناقتي فتصرَعَني.

ويأتي بمعنى: "بين"، تقول جلست وسَط القوم؛ أي: بينهم، قال سوَّار بن المضرَّب:

إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة، وسط الناس عريانا.

والفرق بينهما، فإن "بيْن" لا تكون بعضًا لِما يضاف إليها بخلاف "الوسط" الذي هو بعضُ ما يضاف إليه، فوسط الدارِ منها، ووسط القوم غير ذلك.

قال الراغب الأصفهانيُّ: "والوسط تارة يقال فيما له طرفانِ مذمومان؛ كالجود الذي هو بين البخل والسَّرَف، فيستعمل استعمالَ القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيُمدح به، نحو: السواء والعدل والنَّصف.[3]

وقد استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (الوسط) ،أرادوا معاني:الخير، والعدل،والجودة والرفعة والمكانة العالية.

ب / الوسطية في الاصطلاح: يقترب مصطلح الوسطية في الإسلام من المدلول اللغوي، ومما يعنيه اصطلاحا: الاعتدال في الاعتقاد، والموقف، والسلوك، والنظام، والمعاملة، والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرّط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو

---

[2]ـ معجم مقاييس اللغة، مادة (و س ط)

[3]. مفردات القرآن مادة (و س ط)

معنى الصلاح والاستقامة.[4]

–أما ابن القيم رحمه الله، فسّر الوسطية من خلال الحديث الشريف "فدينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه" أي أن خير الناس النمطُ الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرِّطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين.

وأن هذه الأمةَ وسطًا، وهي الخيار العدل؛ لتوسطها بين الطَّرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرَّق إلى الأطراف، والأوساطُ محمية بأطرافها؛ فخيار الأمور أوساطها.[5]

ـ وفي القرآن الكريم يدل الصراط المستقيم على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي، فمثلاً في سورة الفاتحة جعله الله طريق خيار الذين أنعم عليهم، وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالين، وفي سورة البقرة ذكره تعالى ثم ربطه بالوسطية، فقال: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ 142، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً... 143 ﴾. (البقرة: 143/142)

ولا تخرج معاني الوسطية عن:العدل والفضل والخيرية، والنِّصف والبينية، والتوسط بين طرفين، ولا يصح إطلاق مصطلح (الوسطية) على أمر إلا إذا توفرت فيه الملامح التالية.[6]

ب/1 –الخيرية: وهي تحقيق الإيمان الشامل، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب/2 –الاستقامة: وهي لزوم المنهج المستقيم بلا انحراف، فالوسطية لا تعني التنازل أو التميع أبداً.

ب/3 –البينية: وذلك واضح في كل أبواب الدين، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين.

ب/4 –اليسر: ورفع الحرج: وهي سمة لازمة للوسطية.

ب/5 ـ العدل والحكمة: وهو معنى الخيار، وخيار الناس: عدولهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾. (النحل:90)

2/ مفهوم الخطاب الديني:

– المفهوم اللغوي للخطاب : تفيد المادة اللغوية للفظ المتكون من: (الخاء والطاء والباء)، "خَطَبَ" الكلام بين اثنين.

ويقال: "خَطَبَه، يُخَاطِبُه، خِطَاباً"، و "الخِطَاب، والمُخَاطَبَة" مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً، و"الخُطْبَةُ" خَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر[7]، والخَطَابَة هي "قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ[8]"

---

[4] . وهبة الزحيلي: إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، العدد481، بتاريخ 2005/10/9، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

[5] .إغاثة اللهفان (182/1).

[6] .عبد الحكيم بن محمد بلال: الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، مجلة البيان الإلكترونية www.islamdoor.com

[7] . جمال الدين بن محمد بن منظور، لسان العرب، ج1، بيروت، دار صادر للنشر، ص.360.

[8] .علي بن محمد الجرجاني، التعريفات،ج1، تحقيق ابراهيم الأنباري، بيروت، دار الكتاب العربي،1405 هـ،ص.134.

المفهوم الاصطلاحي للخطاب : الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة وهو الكلام المنطوق أو المكتوب الذي يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان[9].

مفهوم الخطاب الديني: عندما يقيد الخطاب بالدين، فيدل ذلك على محتواه الديني مطلقا، والمقصود بالدين هنا "الدين الإسلامي" ومن ثم يصبح الخطاب الديني الإسلامي: كل الأشكال التعبيرية البيانية الرامية إلى التعريف بالإسلام وأحكامه، ومقتضيات الدفاع عن قضاياه المعرفية أو العملية، بغية جعل الناس يتقبلونه ويتمسكون به، ويهتدون بهديه[10]. ومعنى ذلك أن الخطاب الديني الإسلامي يشمل:

ـ الدعوة إلى دين الله وهو الإسلام؛ وكذلك الفتوى: وهي بيان حكم الشارع في النوازل لمن طلبه؛ والتعليم: وهو بيان حكم الشارع في العقائد والعبادات والمعاملات لمن طلبها ولمن لم يطلبها. كل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بكل الوسائل المتاحة.

مع توفر شروط في من يقوم بالخطاب الديني، وهي:

ـ الإخلاص أي ابتغاء وجه الله من هذا العمل، واحتساب الأجر عليه سبحانه وتعالى.

ـ العلم اللازم لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ـ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة .

ـ الصبر والتحمل لما يلحقه في سبيل تبليغ دين الله.

ـ الرحمة بالناس .

ـ القدوة الحسنة وهي أبلغ صور التبليغ.

3/ مفهوم الخطاب المسجدي: يختلف مفهوم الخطاب المسجدي عن الخطاب الديني الإسلامي، بسبب التقييد بالمسجد، مما يعني أنه موجه للمصلين، فهم مؤمنون بالخطاب الديني الإسلامي، وجاءوا للتزود منه، من خلال خطب الجمعة والدروس المسجدية، المستوحاة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما نتج عنهما، ولكنه يختلف من مسجد لآخر حسب كفاءة الخطيب وتوجهه، ومستوى جمهور المصلين.

4/ مفهوم الإرهاب الفكري: يتكون المصطلح من مفردتين هما: الإرهاب و الفكري.

أ/ المفهوم اللغوي للإرهاب: لا يوجد تعريف لغوي في القواميس اللغوية والمعاجم العربية القديمة المعتمدة، لحداثة المصطلح الذي جاء بعد الثورة الفرنسية، وهو يقابل في الفرنسية Terrorisme وفي الأنجليزية Terrorism والتعريف الصحيح له هو إرعاب وإخافة شديدة.[11]

---

[9]ـ سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي. (سلسلة كتب الأمة:100) مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر)، ص.9.

[10]ـ الخطاب الإسلامي المعاصر: دعوة للتقويم وإعادة النظر، نخبة من الباحثين والكتاب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، مركز البحوث والدراسات، يناير 2006.

[11] ـ انظر أعمال ندوة: الإرهاب والعولمة، بحث بعنوان ـ التعريف بالإرهاب وأشكاله، د/ عبد الرحمن رشدي الهواري، ص.19، ط1، 1423هـ، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

ـ أما في القرآن الكريم وردت مادة رهب ومشتقاتها حوالي ثماني مرات منها قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ . (النحل:51).

ـ ومعنى ـ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ـ هو مدح الخوف والخشية من الله تعالى لأنّه يعاقب الظالم والعاصي والمذنب إمّا عاجلاً في الدنيا، وامّا آجلاً في الآخرة، فالخوف من عذاب الله العاجل والآجل يدعو الإنسان إلى ترك المعاصي والذنوب فهو أمر ممدوح.

ب / الفكري نسبة للفكر، وهو (الفَكْر والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء).[12] وفي القاموس المحيط: (**الفِكر، بالكسر والفتح: إعمال النظر في الشيء**)[13].

أما المصطلح من الكلمتين معا " الإرهاب الفكري" فيمكن تعريفه بأنه كل نشاط يعمل على فرض رأي **محدد، يعتبره أصحابه الصواب المطلق، ويُجبر الآخرون باعتقاد صوابه. وما عداه فهو خطأ، يعمل على تكميم الأفواه، وتجميد العقول، ومصادرة الحريات، ومحاربة الإبداع والتفكير، وعدم قبول الآراء المعارضة، واعتبار أصحابها أعداء تجب محاربتهم وقتلهم إذا استلزم الأمر.**

وما حادثة القول بخلق القرآن في عهد المعتزلة، ومعاقبة المنكرين لذلك إلا صورة من صوره. وهو ظاهرة **عالمية تكاد تكون موجودة في كل المجتمعات، بنسب متفاوتة منذ قديم الأزل. لكن المقصود منه في هذه الدراسة، هو ما يتصف به بعض المسلمين اليوم، من تفسيرهم لبعض النصوص الشرعية، وفي تعاملهم مع الآخر، حتى ولو كان مسلما، زعما منهم أن ما يدّعونه يمثل رؤية الإسلام.**

ثانيا ــ الخطاب الوسطي المسجدي : مرتكزات وخصائص

في هذا العنصر تقدم الدراسة مقاربة للخطاب المسجدي، في مرتكزاته وخصائه، ليس لما هو كائن ولكن لما ينبغي أن يكون عليه، حتى يستطيع القيام بدوره في بناء الإنسان الوسطي المتوازن، فيكون فعلا صورة للإسلام الوسطي، بعيدا عن الإفراط والتفريط ومن ثم لا يتأثر بدواعي وأسباب الإرهاب الفكري.

أ/ مرتكزات الخطاب المسجدي: ونقصد به ما يرتكز عليه الخطاب المسجدي، أي ما يقوم عليه من أسس أساسية متينة، يستمد منها مرجعيته وفهمه وتوجيهه، ولن تكون هذه المرتكزات سوى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، اللذين يسميهما البعض بـ (خطاب الإسلام) ذي سمات وخصائص تتمثل في مصدر التلقي، ومنهج النقل، والعصمة، والصحة، والخاتمية، والخلود[14]، ولا يختلف اثنان في عصمتها ومصدريتها للخطاب الإسلامي عموما، والمسجدي على الخصوص.

إنما الإشكال في فهم المسلمين لها وتعاملهم معها، ومحاولة تنزيلها على واقع حياتهم. وهذا الفهم والتنزيل على واقع الحياة، هو ما يسميه البعض اليوم (بخطاب المسلمين) المستمد من (خطاب الإسلام).[15]

---

[12] ـ ابن منظور، لسان العرب / باب الراء، فصل الفاء (مرجع سابق)

[13] ـ القاموس المحيط / مادة: الفكر

[14] ـ عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي " وقفة للمناصحة"، بيروت، المكتب الإسلامي، 2005، ص.20.

[15] ـ المرجع نفسه، ص.19.

ومن ثم فـ (خطاب المسلمين) جهد وفهم ورؤية بشرية، قابلة للخطأ والمراجعة والتعديل، رغم أنها مستمدة من (خطاب الإسلام) المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ب ـ خصائص الخطاب الوسطي المسجدي: وهذا من الصعب أن يتفق عليه جميع المهتمين بالخطاب المسجدي، كونه يدخل في إطار خطاب المسلمين، الذي يستمد رؤيته من خطاب الإسلام، ولكن تتحكم فيه مؤثرات الزمان والمكان، وفهوم وكفاءات ومستويات واتجاهات من يقومون به، ولن يكونوا على قلب رجل واحد، ومن ثم فهو قد يقترب أو يبتعد عن "خطاب الإسلام"، ومن ثم يبقى هذا العنصر مقاربة اجتهادية، على ضوء ما تم تقديمه في مجال مفهوم الوسطية في عنصر " مدخل مفاهيمي" السابق. ولعل هذه أهم خصائص الخطاب الوسطي الذي يسهم في بناء الإنسان الوسطي، ومن ثم القضاء على الإرهاب الفكري أو على الأقل التقليل منه.

1. أن يكون الخطاب المسجدي تطبيقا لبرنامج هادف، شامل متوازن، يشرف عليه أهل الاختصاص والخبرة، من مختلف التخصصات والمعارف، مُدركا الواقعَ ومشاكِله، مستشرفا المستقبل وآفاقه.

2 ـ لا ينحصر في تكرار الجزئيات المفصولة عن سياقها، فيشوه الحقيقة ويزيف الوعي، ويربط الأمة بمشاكل جزئية بدلا من السير بها إلى الأمام.

3 ـ يتجاوز عرض العموميات المبهمة برفع الصوت، والإدانة والاتهام والمواجهة والشعارات والحماس، إلى عرض الحالة التي يعالجها بدقة وعلمية بمعرفة أسبابها، ووصف الحلول العملية لها بدقة، وما يجب على المسلم عمليا أن يقوم به في إطار إعطاء الحلول بدلا من عرض المشاكل وتركها معلقة.

4 ـ خطابُ بناء لا خطاب هدم، يرتقي بعقائد الناس وأخلاقهم وعباداتهم، وحبهم لله ورسوله، وحبهم للإسلام.

5 ـ خطاب جامع موجه لكل المسلمين، فوق الأحزاب والطوائف والجماعات والتجمعات.

6 ـ خطاب مبني على قيم الإسلام الثابتة، ينشر المناصحة ومعاني الخير، وبناء الإنسان المسلم السوي المتوازن.

7 ـ خطابا مبني على الفقه بمعانيه الواسعة، وهو الفهم الصحيح الشامل للإسلام، في مجالات فقه الأحكام، وفقه الواقع، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات.

8 ـ أن يكون خطابا للحياة لا للموت، أي يدفع بالناس للحياة في سبيل الإسلام ورفعته وانتشاره والتمكين له، بدلا من دفعهم إلى الموت بدون هدف واضح، كما هو واقع اليوم في كثير من بلاد المسلمين.

9 ـ تحميل الناس المسؤولية،﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ (آل عمران 156)، بدلا من تعليق مشاكلنا على الآخر وكيده، ومن ثم الانخراط في جهد فاعل منظم، يرفع عنا اليأس، بدلا من الانخراط في البكاء على الأطلال، والاستسلام للفشل والهزائم، ثم التطرف والإرهاب الفكري.

10 ـ الاستفادة من وسائل وأدوات العصر في تبليغ الإسلام وإيصال خطابه إلى كل الناس وفئاتهم.

11 ـ خطاب استشرافي ينظر إلى الأمام، ويرتقي بالأمة إلى الغد الأفضل الذي تصبو إليه، والخطاب الذي لا يستشرف المستقبل يجبر المجتمع إلى السير إلى الخلف، ويربطه بمشاكل الماضي بدلا من آمال المستقبل.

12 ـ أن يغرس الوعي الصحيح في المخاطبين، ليقوموا بدورهم المنتظر، فهم شركاء في الفعل، والخطاب الذي لا يجد له سوقا يسوّق منتوجه فيه، خطاب كاسد ومفلس.

13 ـ يتسم بالحب الشامل، حب الله، وحب الرسول، وحب قيم الخير، فالله يحب العدل، والصدق، والخير، والحق، والرحمة؛ والبعد عن خطاب القهر والترهيب والتخويف في غير محله، والقمع، والتيئيس من رحمة الله.

14 ـ البعد عن المبالغة في طلب النص دون رؤية كلية مقاصدية، والوعي بظروف الزمان والمكان.

15 ـ أن يشعر الخطيب بأنه المعني بخطابه قبل غيره. فيطبقه على نفسه قبل أن يدعو به غيره، حتى يكون قدوة عملية وقولية لمن يخاطبهم.

16 ـ أن يكون خطابا متفائلا، إيجابيا، يثق في الله وأن المستقبل للإسلام رغم كل الصعاب، بدلا من النظر إلى المستقبل بسوداوية وتشاؤم.

17 ـ أن يعرض الإسلام المتكامل، حتى تكتمل صورته في أذهان المخاطبين، بدلا من التوقف في العرض الجزيئي التجزيئي، الذي يقدم جانبا واحدا من جوانب الإسلام، فالإسلام كل لا يتجزأ.

18 ـ إيجاد مؤسسات تقف وراء الخطاب الإسلامي، من خلال تكامل الكفاءات، تخطط له، وتستشرف له، وتقوّمه، وتعدل برامجه، وتحاول تجاوز عوائقه، حتى يأتي بالثمار المرجوة منه.

هذه أهم خصائص الإسلام الوسطي، التي متى تبناها الخطاب المسجدي، تم تجفيف الإرهاب الفكري الذي يساهم في إيجاده إما تطرف الخطاب المسجدي نفسه أو ضعفه، إضافة لأسباب أخرى تم التعرض لأهمها.

ثالثا ـ رؤية عينة الدراسة للخطاب الديني، والخطاب المسجدي، ووسطية الإسلام، والإرهاب الفكري، ومواصفات الخطاب المسجدي المحارب للإرهاب الفكري ذي الصلة بالإسلام.(دراسة ميدانية)

في هذا العنصر تم توزيع استمارة على عينة قصدية، تتكون من عشرة أساتذة للعلوم الإسلامية، من مصاف أساتذة التعليم العالي وأستاذ محاضر "أ"، من كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وكانت العينة قصدية وليست عشوائية، لقلة من يمارس الخطابة من أساتذة العلوم الإسلامية، ولا يمكن إشراك غيرهم من التخصصات الأخرى لأنه لا علاقة لهم بصناعة الخطاب المسجدي.

أما الاستمارة فكانت دقيقة، ومحددة، ومختصرة، بها خمس أسئلة، أربعة منها تتعلق بتعاريف الخطاب الديني، والخطاب المسجدي، ووسطية الإسلام، والإرهاب الفكري، أما السؤال الخامس به اثنى عشر سؤالا فرعيا، تتعلق بمواصفات الخطاب المسجدي المحارب للإرهاب الفكري، واحتوت الاستمارة على خمس خانات هي: موافق، موافق جدا، محايد، معارض، معارض جدا. وجاءت إجابات الأساتذة بالإجماع، موزعة على خانتي موافق، أو موافق جدا، على جميع الأسئلة، وفق نسب الجدول الموالي عن كل سؤال:

نوع السؤال	تكرارات موافق	النسبة المئوية	تكرارات موافق جدا	النسبة المئوية
1/تعريف الخطاب الديني الإسلامي: بذل الوسع لتعليم الناس دين الله، المستمد من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، امتثالا لأمر الله ورسوله.	2	%20	8	% 80
2/الخطاب المسجدي: ما يلقيه الأئمة ومن يقوم مقامهم من خطب الجمعة والدروس المسجدية المستوحاة، من القرآن الكريم والسنة المطهرة، على رواد المسجد، لتعليمهم الإسلام والعمل به، وعلاج مشاكلهم الواقعية.	4	% 40	6	% 60
3/ وسطية الإسلام: هي الاعتدال في الاعتقاد، والمواقف، والسلوك، والنظام، والمعاملة، والأخلاق.	6	% 60	4	% 40
4/ الإرهاب الفكري: كل نشاط يسعى لفرض رأي محدد، يعتبره أصحابه الصواب المطلق، ويجبرون غيرهم باعتقاد صوابه، وما عداه خطأ، واعتبار الآراء المعارضة لرأيهم أعداء، تجب محاربتهم، وقتلهم إذا استلزم الأمر.	4	% 40	6	% 60
5/ مواصفات الخطاب المسجدي المحارب للإرهاب الفكري ذي الصلة بالإسلام.				
1/5. شامل في تعريفه بالإسلام	8	% 80	2	% 20
2/5- يقوم على أدلة شرعية صحيحة وقوية	6	60	4	% 40
3/5- غير فئوي، أي موجه للجميع	6	% 60	4	% 40
4/5- متوازن بين مكونات الإسلام	6	% 60	4	% 40
5/5- يمتاز بالاستمرارية	6	% 60	4	% 40
6/5- له برنامج هادف	6	% 60	4	% 40
7/5- يعالج مشاكل حياة الناس	6	% 60	4	%40
8/5- مبشر غير منفر	6	% 60	4	% 40
9/5- ينحاز للحق فقط	6	% 60	4	% 40
10/5- فوق الانتماءات السياسية	4	% 40	6	%60
11/5- يمتاز صاحبه بالقدوة الشاملة	6	% 60	4	% 40
12/5- ممنهج، مفهوم، ومؤثر	6	% 60	4	% 40

تحليل نتائج الجدول:

يمثل الجدول أعلاه إجابات الأساتذة عينة الدراسة، على أسئلة الاستمارة، المتمثلة في أربع تعاريف، وإثنى عشرة سؤالا تتعلق بمواصفات الخطاب المسجدي المعتدل، الذي يكوّن الإنسان المسلم المتوازن المعتدل، البعيد عن الإرهاب الفكري.

وكانت النتائج كالتالي:

- فيما يخص التعريف المتعلق بالخطاب الديني الإسلامي، وهو "بذل الوسع لتعليم الناس دين الله المستمد

من القرآن الكريم والسنة المطهرة"كانت 8 تكرارات من إجابات الأساتذة أي بنسبة 80 بالمائة موافقة جدا، وهو السؤال الوحيد الذي نال نسبة 80 بالمائة موافق جدا على هذا التعريف. مقابل تكرارين أي بنسبة 20 بالمائة موافق.

أما بقية التعاريف الثلاثة الباقية وهي تتعلق بتعريف الخطاب المسجدي ووسطية الإسلام والإرهاب الفكري، فقد كانت الإجابات عليها بين موافق وموافق جدا، متقاربة تتراوح بين60 و 40 بالمائة لكل منهما.

أما إجابات السؤال الأخير المتعلق بمواصفات الخطاب المسجدي الوسطي لبناء الإنسان المعتدل البعيد عن الإرهاب الفكري، كانت عشر إجابات موافق بنسبة 60 بالمائة، والباقي وهو 40 بالمائة موافق جدا.

وإجابة واحدة تتعلق بتعريف الخطاب المسجدي للإسلام الشامل وليس لبعض مكونات الإسلام فقط، أن 80 بالمائة كانوا مع موافق، مقابل 20 بالمائة موافق جدا.

وأخيرا الإجابة الأخيرة المتعلقة بخاصية أن الخطاب المسجدي يجب أن يكون فوق الانتماءات السياسية، أجابت نسبة 40 بالمائة بـموافق، و60 بالمائة موافق جدا.

وعليه من النتائج المحصل عليها حسب عينة الدراسة، أن أسئلة الاستمارة كانت صادقة، لأنها لم تجد معارضة ولا حتى الوقوف على الحياد، بل كلها كانت بين موافق، وموافق جدا، بنسب تقريبا متقاربة، مما يعني أن مشكلة الإرهاب الفكري من أسبابه عدم قيام المسجد بدوره في التنشئة الاجتماعية للفرد المسلم، لأسباب منها عدم توفر شروط الكفاءة في الخطباء، والقدوة الحسنة، فانعكس ذلك على أدائهم في التوجيه المسجدي، فأثمر فراغا لدى عموم المصلين، تم استثماره من جهات أخرى، فنتج عنه الإرهاب الفكري.

رابعا ـ الخاتمة (الخلاصة، النتائج، التوصيات)

1/ الخلاصة: تناولت الدراسة الموسومة "الوسطية في الخطاب الديني ومحاربة الإرهاب الفكري: الخطاب المسجدي أنموذجا، انطلاقا من إشكالية التناحرات التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، لا سيما الناجم عن الإرهاب الفكري.

تعرضت الدراسة بعد ذلك لوصف الإشكال المتمثل في جملة من الأسباب الموضوعية للإرهاب الفكري، يثبتها الواقع من خلال الملاحظة الميدانية.

ثم جاءت الدراسة في مدخل مفاهيمي بحسب ما يسمح به حجم الدراسة حول العناصر الأساسية في العنوان؛ ثم مقاربة نظرية لمحاربة الإرهاب الفكري، من خلال التنشئة الاجتماعية المسجدية، متى توفرت لدى القائمين على المسجد شروط إخلاص النية لله في تبليغ دينه، وكفاءتهم العلمية، وعملهم الدؤوب، ومواصفات لخطابهم المسجدي، بين أسس يرتكز ويقوم عليها، هي القرآن الكريم والسنة المطهرة، وخصائص الإسلام المعتدل المتوازن، يتصف بها، ثم للتأكد من صحة هذه المقاربة، تم عرض استمارة بها تعريفات للمفاهيم الإجرائية المقدمة في الدراسة، وخصائص الخطاب المسجدي المقترح، على عينة قصدية من أساتذة الجامعات في تخصص العلوم الإسلامية، يمارسون الخطاب المسجدي، ومن ثم فهم بمثابة خبراء في المجال العلمي المعرفي والدعوي، فكانت إجاباتهم بالإجماع تتراوح بين الموافقة، والموافقة جدا، مما يعطي صدقية للدراسة.

2/ النتائج المتوصل إليها:

أ/ يمكن للمسجد أن يسهم في حل كثير من مشاكل المجتمع، متى توفرت له شروط أدائه للدور المنوط به في مجال التنشئة الاجتماعية المسجدية.

ب / التنشئة الاجتماعية المسجدية تقوم على خطاب وسطي معتدل يتصف بمجموعة من المواصفات منها:

ـ شمولية التعريف بالإسلام في صورة متوازنة، ـ قوة في الدليل الشرعي، ـ يستجيب لحاجات جميع شرائح المجتمع، ـ يقوم على برنامج هادف ومستمر غير منقطع، ـ يعالج مشاكل الناس الحياتية بصورة مبشّرة ميسّرة غير معسّرة ولا منفّرة،

ـ ينحاز للحق وحده، ولا يخضع للتلوينات السياسية، ـ يمتاز صاحبه بالقدوة الحسنة الشاملة وذو مقدرة على توصيل خطابه بصورة ممنهجة ومفهومة ومؤثرة.

3/ التوصيات/ واقع المسجد اليوم، يثبت أنه غير مؤطر لا كما ولا نوعا، تتقاذفه الصراعات، بعيد عن أداء دوره المنوط به. لذلك نوصي بما يلي:

ـ تأطير المسجد كما ونوعا.

ـ مراعاة التكوين الجيد والمتوازن في تكوين الأئمة حتى يسهموا في دورهم المنوط بهم بكفاءة.

استمارة دراسة " محاربة الخطاب المسجدي للإرهاب الفكري "

دراسة موجهة لملتقى علمي إعداد الدكتور/ بشير قادره أستاذ بجامعة باتنة1.

مع جزيل الشكر سلفا، الرجاء التكرم بالإجابة على أسئلة الاستمارة المقدمة لكم، لأجل الدراسة العلمية المذكورة أعلاه، بوضع الإشارة على إحدى خانات الجدول حسب ما ترونه مناسبا. مع فائق التقدير والمحبة.

ما رأيكم في هذه التعاريف؟

رقم التعريف	التعريف	موافق	موافق جدا	محايد	معارض	معارض جدا
1	الخطاب الديني الإسلامي: بذل الوسع لتعليم الناس دين الله، المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة، امتثالا لأمر الله ورسوله.					
2	الخطاب المسجدي:ما يلقيه الأئمة ومن يقوم مقامهم، من خطب الجمعة والدروس المسجدية المستوحاة، من القرآن الكريم والسنة المطهرة، على رواد المسجد، لتعليمهم الإسلام والعمل به، وعلاج مشاكلهم الواقعية.					
3	وسطية الإسلام: هي الاعتدال في الاعتقاد، والموقف، والسلوك، والنظام، والمعاملة، والأخلاق.					
4	الإرهاب الفكري: كل نشاط يسعى لفرض رأي محدد، يعتبره أصحابه الصواب المطلق، ويُجبرون					

	غيرهم باعتقاد صوابه. وما عداه فهو خطأ، واعتبار الآراء المعارضة لرأيهم، أعداء تجب محاربتهم، وقتلهم إذا استلزم الأمر.					
5	مواصفات الخطاب المسجدي المحارب للإرهاب الفكري ذي الصلة بالإسلام					
1/5	شامل في تعريفه بالإسلام					
2/5	يقوم على أدلة شرعية صحيحة وقوية					
3/5	غير فئوي، أي موجه للجميع					
4/5	متوازن بين مكونات الإسلام					
5/5	يمتاز بالاستمرارية					
6/5	له برنامج هادف					
7/5	يعالج المشاكل الواقعية في حياة الناس					
8/5	مبشر غير منفر					
9/5	ينحاز للحق فقط					
10/5	فوق الانتماءات السياسية					
11/5	يمتاز صاحبه بالقدوة الحسنة الشاملة					
12/5	ممنهج، مفهوم، ومؤثر					

هل من ملاحظات تبدونها؟

قائمة المصادر والمراجع

1/ ابن منظور جمال الدين بن محمد ، لسان العرب، ج1، بيروت، دار صادر للنشر.

2/ إغاثة اللهفان (1/182).

3/ بلال عبد الحكيم بن محمد: الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، مجلة البيان الإلكترونية www.islamdoor.com

4/ الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات،ج1، تحقيق ابراهيم الأنباري، بيروت، دار الكتاب العربي،1405 ه.

5/ الزحيلي وهبة: إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، العدد481، بتاريخ 2005/10/9، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

6/ سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي. (سلسلة كتب الأمة:100) مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر).

7/ عبيد حسنة عمر، الخطاب الإسلامي " وقفة للمناصحة"، بيروت، المكتب الإسلامي، 2005.

8/ معجم مقاييس اللغة، مادة (و س ط)

9/ مفردات القرآن مادة (و س ط)

10/ نخبة من الباحثين والكتاب، الخطاب الإسلامي المعاصر: دعوة للتقويم وإعادة النظر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، مركز البحوث والدراسات، يناير 2006.

11/القاموس المحيط، مادة: الفكر

12/ الهواري عبد الرحمن رشدي، التعريف بالإرهاب وأشكاله، ندوة:الإرهاب والعولمة، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1423هـ، الرياض.